

## - تهذيب الأخلاق -

إن من مقاصد الحج تهذيب الأخلاق حيث يدفع المسلم إلى التحلي بمكارم الأخلاق والابتعاد عن مساوئها، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٧] وأشهر الحج هي شوال وذو القعدة وذو الحجة ، وقوله تعالى ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ﴾ أي فمن أحرم فيهن بالحج، وقوله ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ الرفث هو إتيان النساء ودواعيه والكلام مع النساء في ذلك ، كما روي ذلك عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وغيره ، ويبقى ذلك محرما بين الأزواج وزوجاتهم من وقت الإحرام بالحج إلى أن يتحللوا التحلل الأخير ، وذلك بعد أن يؤدوا المناسك الأربعة : رمي جمرة العقبة ،

والحلق أو التقصير ، والطواف والسعي ، وذلك كله -  
كما هو معلوم - بعد الوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة .

وقوله تعالى ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ الفسوق يشمل جميع  
المعاصي ، كما ثبت ذلك عن ابن عباس وغيره ، فالله  
تعالى بهذا ينهى عن التلبس بأي معصية من المعاصي بعد  
الشروع في الحج ، وذلك أن من أحرم بالحج أو العمرة  
فإنه قد تلبس بعبادة الله تعالى كحال من دخل في صلاة  
فلا يجوز له - والحال هذه - أن يقع في شيء من المعاصي  
وهو يؤدي تلك العبادة ، والمعاصي محرمة في كل حين  
ولكن حرمتها تتأكد حينما يتلبس الإنسان بعبادة كما  
تتأكد بجرمة الزمان والمكان ، وفي هذا تعويد للمسلم على  
اجتناب المعاصي في كل أوقاته ، لأنه حينما يمنع نفسه من  
المعاصي في أيام الحج فإن ذلك يدفعه إلى عدم معاودة  
الوقوع في المعاصي بعد ذلك .

فالله سبحانه قد شرع الحج إلى بيته المحرم ليكون في ذلك تزكية للنفوس وتطهير لها من أدران المعاصي والمخالفات ، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ « من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » أخرجه الإمام البخاري <sup>(١)</sup> .

وقوله « من حج هذا البيت » يتضمن الإخلاص في الحج لقول الله تعالى ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ وذلك بأن يكون الهدف من الحج بلوغ رضوان الله تعالى، لامرأة الناس ولا طلب الدنيا وأن يحضر قلبه مع الله تعالى في أداء أنساك الحج ، فإذا قام بأداء المناسك على وجهها التام واجتنب جميع المعاصي والمخالفات كان جديراً بأن يحصل على هذا الوعد الكريم بتطهيره من جميع ذنوبه وتكفير سيئاته ، وهذا مقصد عظيم من مقاصد الحج ، يجعل قلوب المسلمين تهفو إلى هذا البلد

---

(١) صحيح البخاري رقم ١٨١٩ (٤/٢٠) .

الأمين الذي جعله الله مطهرة للقلوب من الأرجاس  
والذنوب .

وقوله تعالى ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ الجدال في الحج  
هو السباب والمنازعة ، قال عبد الله بن عباس رضي الله  
عنهما ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ المراء والملاحاة حتى  
تغضب أخاك وصاحبك ، فنهى الله عن ذلك ، وكذلك  
روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه <sup>(١)</sup> .

وفي هذا يقول رسول الله ﷺ : « من قضى نسكه  
وسلم المسلمون من لسانه ويده غفر له ماتقدم من ذنبه »  
أخرجه الحافظ عبد بن حميد في مسنده من حديث جابر  
بن عبد الله رضي الله عنهما <sup>(٢)</sup> .

ومن هذا يتبين لنا أن أحد مقاصد الحج المهمة وهو  
مغفرة الذنوب مرهون بسلامة المسلم من أذية الحاج من

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٤٦/١ - ٢٤٧ .

(٢) المنتخب لعبد بن حميد ، رقم ١١٤٨ (٢/٢٠٦) .

يده أو لسانه ، وأن بسط الأيدي والألسنة في أذى المسلمين وترويعهم وإشغالهم عن أداء نسكهم على الوجه الأكمل مانع من حصول الهدف السامي الذي من أجله شد الحاج رحاله وتغرب عن أهله وتكبد المتاعب ، وإن الذين يجتمعون ويتحزبون لإزعاج المسلمين وإثارتهم قد أساءوا إلى أنفسهم وإلى المسلمين وأصبحوا عوناً للشيطان الذي يحرص جاهداً على أن يفسد على المسلمين حجهم ، ويضيع عليهم الهدف الذي من أجله أنفقوا أموالهم وأتعبوا أجسامهم .

فعلى المسلمين أن يعوا الحكمة السامية من حجهم وأن يفهموا الوسائل التي توصلهم إلى تحقيق هذه الحكمة والوسائل التي تمنعهم من تحقيقها .

إن كثيراً من المسلمين حين يسمعون قول النبي ﷺ «رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» تتوق أنفسهم إلى أن يرجعوا من حجهم مغفورا لهم مطهرين من الذنوب والآثام ، ولكن بعضهم يظنون أن الحج هو مجرد أداء

المناسك المفروضة والواجبة ، ولا يهتمون بأمر السلوك الذي يجب أن يلتزم به الحاج ويستقيم عليه ، ولذلك تقع الخصومات بين بعض الحجاج وتسود الأثرة ويغلب حب الذات بدلا من الإيثار وحب الصالح العام ، ولو علموا أن مغفرة الذنوب مشروطة بكف الأذى عن المسلمين بجميع أشكاله لراجعوا أنفسهم كثيرا إن كانوا صادقين في طلب المغفرة والتطهير من الذنوب .

فإذا ازدحم الطريق بالناس بحيث لا يتسع إلا للقليل منهم فالإيثار يقتضي أن يقدم بعضهم بعضا ، خصوصا الضعفاء منهم بمودة وانسجام ، أو على الأقل أن يعطى صاحب الحق حقه فيتقدمون الأول فالأول .

وإذا ازدحم الناس على الماء فالإيثار يقتضي أن يُقدّم كبار السن الذين لا يستطيعون الوقوف طويلا ومن لا يريد إلا القليل من الماء للشرب أو الوضوء ، أو على الأقل أن يقفوا بانتظام وتعطى الأولوية للمتقدم .

وإذا ازدحم الحجاج عند أداء المناسك فليعلم المسلم  
أن إنقاذ أخيه المسلم من الهلاك أفضل من أداء النسك  
لأن النسك يمكن تأجيله وإنقاذ مسلم أمامه يوشك على  
الهلاك لا يمكن تأخير، فكيف بمن يسهمون في إهلاك  
المسلمين؟!

وأي نسك هذا الذي يؤدونه وهم يدفعون إخوانهم  
يميناً وشمالاً؟!

ومن هذا ندرك أن بعض الحجاج لا يفقهون المعاني  
الكاملة للحج ولا مقاصده السامية ، ولا يفهمون أن الحج  
يجب أن تسوده الرحمة والمودة ، وأن من كمال الحج أن  
توثر أخاك المسلم على نفسك بأسباب الراحة ، وأن من  
لوازمه أن يعرف الحاج حقوق إخوانه الحجاج فلا ينتهك  
شيئاً منها .

وفي قول الله تعالى ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ نفى الله  
سبحانه وجود الجدال في الحج، والنفي أبلغ من النهي،

وهو يتضمنه ، فالمعنى ليس من شأن الحج أن يكون فيه  
جدال ، ومن جادل في الحج فقد استهان بهذه العبادة  
العظيمة .



## – التعارف بين المسلمين –

إن من مقاصد الحج التعارف بين علماء المسلمين وقادتهم ووجهائهم ، فالعلماء قد لا يلتقي بعضهم ببعض إلا في موسم الحج ، وطلاب العلم قد لا يستطيعون مقابلة العلماء والتلقي عنهم إلا في هذا الموسم، حيث يَفْدُون إلى مكة المكرمة من عموم أقطار الأرض، ومن الصعب على طلاب العلم أن يرحلوا من أقصى الأرض إلى أقصاها للقاء العلماء ، لكن الحج يقرب ذلك البعيد ، فيجمع أهل العلم في ذلك الموسم الكريم، فيتدارسون العلم ويتذكرون فيما بينهم .

لقد كان الحج مدرسة علمية يكمل فيها أهل العلم ما بدؤوه ، ويحصلون فيها ما فقدوه ، ففي علم الحديث مثلا كان طلاب العلم يتعلمون الأحاديث النبوية بأسانيدھا ويروونها عن العلماء الذين يتيسر لهم لقاءهم في بلادهم ، ولكن كان لديهم طموح لتحصيل السند

العالي، فإذا كان بين الراوي والنبى ﷺ خمسة رُواة فهو يطمح إلى أن يكون بينه وبينه أربعة رواة فقط، ولهذا كانوا يرحلون إلى البلاد التي قد تكون بعيدة من أجل الحصول على السند العالي ، فإذا كان موسم الحج فإنهم يرون فيه فرصة للقاء العلماء الذين يَفِدُون من أقطار الأرض، فلعلهم يجدون شيوخ شيوخهم فيروون عنهم الأحاديث، وبذلك يجذفون من أسانيدهم رجلا ويظفرون بالأسانيد العالية .

ومن ذلك في سبيل المثال أنه لما قدم معاوية بن صالح بن حُدير قاضي الأندلس إلى الحج وكان يروي صحيفة على بن أبي طلحة عن ابن عباس اجتمع على الرواية عنه أهل الحديث حتى الأكابر منهم كسفيان الثوري وعلي بن مهدي طلبًا لعلو الإسناد <sup>(١)</sup> .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٦١/٧ .

وكذلك الفقهاء فإن الحج فرصة مهمة لاجتماعهم وطرح قضايا الفقه التي تحتاج إلى نظر واجتهاد وتبادل الآراء فيما بينهم ، ومن المعلوم أن معرفة واقع الأمة له أثر مهم في الاجتهاد ، وذلك في المسائل التي تتعلق بحياة الناس ، وحينما يَفِدُ إلى مكة في موسم الحج الفقهاء من أقطار الأرض يكون في ذلك إثراء لفقه الواقع ، حيث يذكر فقهاء كل بلد واقع مجتمعهم في القضايا الفقهية التي يتم بحثها .

وقد تعددت المجامع الفقهية في العالم الإسلامي وفي بلاد الأقليات الإسلامية ، فمن المناسب أن يكون للفقهاء اجتماع عام يضم ممثلين عن كل المجامع ، وإن من المناسب أن يكون هذا الاجتماع في مواسم الحج .

وإذا كان الحرم المكي الشريف والأماكن المقدسة في منى وعرفات هي مكان تجمع العلماء وطلاب العلم في العصور السابقة فإنها لاتزال كذلك ، إضافة إلى استحداث وسائط أخرى مثل إقامة المؤتمرات والملتقيات

التي يُدعى لها عدد مختار من علماء المسلمين ويتم فيها تدارس بعض قضاياهم المعاصرة .

ونظراً لصعوبة الاتصال في العصر الحاضر لكثرة الحجاج فإنه يمكن استعمال وسائل الاتصال الحديثة الجماعية كالإذاعة والرأي ، والفردية كالهاتف ، من أجل التبليغ واللقاء الفكري .

فالحج وسيلة مهمة للتعارف بين أهل العلم معلمين ودارسين ، وهذا التعارف بين أهل العلم يُعدُّ خطوة أولى في تكوين الأخوة الإسلامية والرابطة الدينية بين المسلمين.

هذا وإن هذا الهدف من التلاقي والتعارف وتبادل الرأي ليس خاصاً بعلماء الدين ، بل هو عام لكل فئات الأمة وتخصصاتهم ، فالحج فريضة على كل مسلم ، ولا بد لكل مسلم أن يحج ، ومن الممكن أن تنسق الجهود لتلاقي وتعارف أصحاب كل التخصصات مع من يشاركونهم في تخصصاتهم ، فقيادة الأمة وزعماءها ينبغي

أن يتعارفوا من خلال موسم الحج وأن يلتقوا وأن يتبادلوا الرأي في طرح مشكلات المسلمين، وأن يتشاوروا في العلاج الأمثل لحلها، وكذلك كل فئات المجتمع الإسلامي .

وبهذا التخطيط والتنسيق يمكن أن يكون موسم الحج منطلقاً لمواسم أخرى تخدم الأمة الإسلامية وترفع من مستواها العلمي والإداري .

وإذا كان المفسرون قد أدخلوا منافع الدنيا في تفسير قول الله تبارك وتعالى ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨] فإن هذه اللقاءات المذكورة تُعدُّ من منافع الآخرة فهي أولى بالذكر والاعتبار .

## - تثبيت الأخوة الإسلامية -

إن من مقاصد الحج تثبيت الأخوة الإسلامية وتقويتها ، فالحج هو القمة العليا لتكوين الأخوة الإسلامية التي من عواملها الأولى شرعية صلاة الجماعة ، حيث يجتمع أفراد الحي الواحد خمس مرات في اليوم واللييلة ، فيتعارفون فيما بينهم ، وتتقوى علاقاتهم ، وتنمو في قلوبهم المحبة في الله والأخوة الإيمانية ، ثم تتوسع دائرة هذه الأخوة في صلاة الجمعة ، حيث يجتمع أبناء البلد الواحد أو بعضهم مرة كل أسبوع ، ثم يجتمعون بصورة أوسع مرتين في العام في صلاة العيدين . وفي الحج تبلغ الأخوة الإسلامية كمالها في القوة والشمول ، حيث يجتمع وفود المسلمين جميعا في الأماكن المقدسة ، ويشارك فيها كل مسلم مرة على الأقل في عمره .

## - توجيهات لما بعد الحج -

لقد أمرنا الله عز وجل بإخلاص الحج والعمرة له وحده جل وعلا فقال سبحانه ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ فالحج والعمرة يجب أن يكونا خالصين لله تعالى وحده، بحيث تكون نية الحاج والمُعتمر التقرب إليه سبحانه لا مراعاة الناس ولا طلب تحسين السمعة أمامهم.

فإذا كنت أيها الحاج ممن حاز على شرف الإخلاص وأدیت الحج والعمرة لله عز وجل وحده فداوم على ما كنت عليه من هذا التجرد والإخلاص ، ولا تتكس بعد حجك بمزاولة أعمال ظاهرها الصلاح وباطنها مراعاة الناس والسباق نحو اكتساب السمعة عندهم .

فإنك لو فعلت ذلك يكون الشرك قد تسرب إلى قلبك ، فإن حقيقة التوحيد أن يمتلئ قلبك بتعظيم الله جل وعلا وإجلاله بحيث لا يكون فيه متسع لاتباع هوى النفس أو أهواء البشر ، فإذا تسربت القوى الخفية إلى

القلب فإنها تزاحم وجود الإيمان بالله عز وجل في القلب، وبالتالي تتشكّل التصورات الفكرية بناء على ذلك ، ويتبعها السلوك العملي ، فإذا كان وجود الإيمان بالله تعالى خالصاً في قلب المؤمن فإن جميع تصوراته وأنماط سلوكه تكون منسجمة مع التوحيد الخالص، وعلى هذا المستوى الإيماني كان الصحابة رضي الله عنهم، حيث كانت أعمالهم ترجماً لمعتقدات قلوبهم ، فلما كان سلوكهم حسناً دلّ ذلك على صفاء تصوراتهم، وهذا بالتالي دليل على إخلاص قلوبهم وامتلائها بالإيمان بالله عز وجل ، كما قال رسول الله ﷺ عن عمار ابن ياسر رضي الله عنه « ملئ عمار إيماناً إلى مشاشه »<sup>(١)</sup> والمشاش أطراف العظام كالمرفقين والكتفين ، وهو تعبير عن بلوغ الكمال في الإيمان .

---

(١) سنن النسائي ٨ / ١١١ ، سنن ابن ماجه رقم ١٤٧ ، المقدمة .



أما إذا تسرب إلى قلب الإنسان الخضوع لهوى النفس أو أهواء البشر فيما يتعارض مع طاعة الله جل وعلا فإن تصورات القلب تكون موزعة بين محاولة إرضاء الله تعالى ومحاولة إرضاء الآخرين ، وعلى قدر قوة الجذب في الطرفين تكون الهيمنة على التصورات والمشاعر وتوجيه أنماط السلوك .

وقد يغرر المرء بنفسه باعتقاد أنه من أهل التوحيد الخالص ، بينما هو قد يطيع هوى نفسه في معصية الله تعالى ، وقد يخضع لطاعة الناس في معصية الله عز وجل ، فهذا يكون قد وقع في نوع من الشرك الخفي ، فإن الله جل وعلا قد حكم على الذين اتبعوا أهواءهم وأطاعوا غيرهم في معصية الله سبحانه بأنهم قد اتخذوا من دونه عز وجل آلهة وأرباباً ، كما في قوله تعالى ﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ، هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٣] وكما في قوله جل وعلا ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ

وَرَهْبَنَهُمْ أَزْكَابًا مِّن دُورِ اللَّهِ ﴿ [التوبة: ٣١] وفي معنى هذه الآية أخرج الإمامان الترمذي والطبري من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه : أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرَهْبَنَهُمْ أَزْكَابًا مِّن دُورِ اللَّهِ ﴾ فقال : إنهم لم يعبدوه ، فقال ﷺ : «بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم» <sup>(١)</sup> .

وهذا يعني شرك الطاعة فإنه داخل في العبادة ، وإذا حدث طاعة المسلم هواه أو طاعة الآخرين في معصية الله تعالى فإن ذلك يدخل تحت دائرة الشرك الأصغر ما لم يصرف للمخلوق نوعا من العبادة كالسجود والطواف والدعاء أو يتعمد تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله كما فعل النصارى فإن ذلك يكون من الشرك الأكبر .

---

(١) سنن الترمذي ، رقم ٣٠٩٥ ، تفسير الطبري (١٠/ ١١٤) .

فالذي يؤدي الحج ثم يقع في أي نوع من أنواع الشرك فإنه لم يكتسب من حجه دروساً في التوحيد الخالص لأنه قد وقع بعد ذلك في الشرك .

وإذا كنت أيها الحاج قد استقمت في حجك على آداب الإسلام فلم تسب المسلمين ولم تجادلهم بالباطل ولم توقع الأذى والضرر بهم فداوم على الاستقامة على هذه الأخلاق الإسلامية، فإن تلك الأخلاق العالية ليست من خصائص أيام الحج ، بل هي مطلوبة منك في كل أيامك .

وإذا كنت أيها الحاج قد عصمت نفسك عن المعاصي واستقمت على الطاعات في أيام الحج فاجعل من هذه الاستقامة درساً نافعاً لك في سائر أيامك فإن الله عز وجل الذي خشيته وراقبته واتقيته في أيام الحج عالم بك ومطلع على مكنونات ضميرك في كل أيامك وسيحاسبك على كل صغيرة وكبيرة فعلتها ، فاستقم على طاعته حتى تفارق روحك جسدك .

وإن مما يطلب من المسلم أن يدوم على الأعمال الصالحة سواء في الواجبات أو النوافل، فأما الواجبات فإنه يجب عليه أن يؤديها كاملة ، وأما النوافل فإنه ينبغي له أن يدوم على ما يقوم به من العمل وإن قلَّ ، وأن لا ينقطع عنه ، وأن لا يكون توجهه إلى الأعمال الصالحة في المناسبات والمواسم وقد أثنى الله عز وجل على الدائمين على الأعمال الصالحة فقال تعالى ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ [المعارج : ٢٣] فينبغي للمسلم أن يستديم على العمل الصالح في باب النوافل وإن كان قليلاً ، فالدوام على القليل خير من الكثير مع الانقطاع كما أخرج الحافظ مسلم - رحمه الله - من حديث أم المؤمنين عائشة ( رضي الله عنها ) : « أن رسول الله ﷺ سئل أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : أدومُهُ وإن قلَّ » <sup>(١)</sup> .

وأخرج الحافظ أبو عبد الله البخاري - رحمه الله -

---

(١) صحيح مسلم ، رقم ٧٨٢ / ٢١٥ ، صلاة المسافرين (ص ٥٤٠) .

من حديث أم المؤمنين عائشة ( رضي الله عنها ) : أن  
النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة ، قال : من هذه ؟  
قالت فلانة - تذكر من صلاتها - قال : مه ، عليكم بما  
تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا ، وكان أحب الدين  
إليه مادام عليه صاحبه <sup>(١)</sup> .

---

(١) صحيح البخاري ، رقم ٤٣ ، الإيمان (١/١٠١) .